

1 الطبخية:

"إنَّ الطبيعة تلوّنت بألوان نفس الشاعر وواكبتها وصاحبها وتقمصت فيها على مستويات متباينة"¹ فقد اكتشف الوجدانيون الجمال في الطبيعة وبالغوا فيه لدرجة أنه عكس روح التمرد لديهم فهذا أحمد سحنون يذكر البحر في أربع قصائد في شعره، وكل قصيدة تختلف عن الأخرى في مضمونها، ففي قصيدته المعنونة بـ "ليلة مع البحر" يقول:

كَمْ قَدْ طُوِيََتْ مِنَ الْقُرُونِ وَكَمْ مَحُوتَ مِنَ الْأُمَمِ²

لَكَ مَحْيَا رَائِعٌ حَلِيلٌ وَمَنْظَرٌ مَحَبَّبٌ جَمِيلٌ

² أحمد سحنون، "الديوان"، ج1، ص31

فيك نسيمٌ باردٌ عليّ يطيبُ فيك الصبحُ والأصيل¹

إنّ هيام الشاعر بالبحر جعله يُكلّمه على أنّه إنسان ويصفه وهذه طريقة الرومانسيين. كما أنّ الميول الكبير للشعراء الوجدانيين للطبيعة جعلهم يفرّون من ظلم الواقع فذكروها في شعرهم وشكوها آلامهم ومناجاتهم. وهاهو عبد الكريم العقون يقول في قصيدة " من وحي البحر " :

ها أنا اليوم قد وقفتُ أناجيد لك - أيا بحرُ - فاستمع لنشيدي

وكَلّنا في موقفٍ نتناغى بأغانٍ سحريةٍ التريـد

إنّك اليوم مؤنسي وسميري يا نجبي في قفّر هذا الوجود²

يقول عبد الله الركيبي عن الشعراء الوجدانيين " أنّ تصوّرهم للطبيعة كان ينصبّ على الجزائر وطبيعتها"³؛ أي أنّ الشعراء الوجدانيين الجزائريين تحدّثوا عن البحر والرّبيع والصّحراء وكل المظاهر الطّبيعية الموجودة في الجزائر.

فهذا محمد الأخضر السّاحي يصف صحراء الجزائر منبهاً أمام جمالها وصفائها ونقاها قائلاً:

كثبُ أنتِ أم سنا وضياء ورمالُ أم فتنةٌ ورواء

وسكونٌ مخيمٌ ووجوم أم عناءٌ مرجعٌ وحداء⁴

والمعروف أنّ معظم الشعراء الجزائريين عاشوا في الصّحراء الجزائرية وتأثّروا ببيئتها وعرفوا قساوتها؛ لكن بعد هجرتهم لها إلى المدن لا زالوا أوفياء لها ويحتّون إليها في الوقت نفسه يتذمّرون من الحياة في المدينة، فأحمد سحنون يجد في الصّحراء جمالا باهرا، وقليل من يرى هذا الجمال يقول في " الصّحراء ":

¹ أحمد سحنون "المصدر السابق"، ج1، ص35

² د الشريف مربي "شعر عبد الكريم العقون"، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، (د.ط)، ص116

³ عبد الله الركيبي "الشعر الديني الجزائري الحديث"، ص666

⁴ محمد الأخضر السّاحي "همسات وصرخات"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ط2، ص89

أصحراء أنت الكونُ بل أنت أكبرُ ومرآكِ في العين أبهى وأبهر

بلى أنت دنيا لا تحدُّ على المدى إذا كانتِ الدنيا تحدّ وتحصر¹

" وهذه النشوة بين أحضان الطّبيعة هي طابع الرّومانتيكيّين جميعاً، وذلك أنّ مبادئهم حبّ الخلوة واعتزال النّاس"²، فشدة حساسيتهم وتأثرهم بما حولهم جعلهم يتجاوبون مع الطّبيعة يناجونها ويستمعون إليها وإلى كل نبضة تنبع من كلّ كائن حولهم. من جهة أخرى نجد محمد الأمين العمودي يصف الطّبيعة " الطّبيعة السّاحرة":

وصدى نسيّد العندليب عشيّةً وعزيف موسيقى بفخّ خال

وصفيرُ شحروورٍ وهتفُ حمامةٍ حنّ وتغنّت فوق تلّ عال³

بينما محمد الأخضر السّانحي يُنشد "مرحباً بالربيع" الذي بعث الحياة وكسا الطّبيعة حلّة جديدة بعدما كان الشتاء الطويل قد رمى بكاهله عليها في قصيدته "مرحباً بالربيع"

مسح الكونُ مقلّتيه وعادَتْ نظراتُ الصّبّا إلى أجفانه

وأفاقت من نومها هضابٌ مسّها موسمُ الهوى ببنانه⁴

إنّ اعتماد الشّعراء الوجدانيّين على العواطف والمشاعر التي يحتويها قلبهم، جعلهم يعتمدون على الخيال، ولما عجزوا عن تغيير الواقع مالوا إلى الطّبيعة ودفنوا معاناتهم فيها. ولو عدنا إلى بعض أشعار مبارك جلواح نجده يصف الطّبيعة بما فيها من كائنات لدرجة أنّه نسي نفسه، وأطلق العنان لأحزانه وآماله وأحلامه، ففي قصيدة "البلبل المجنّد" يتمعّن في الطّبيعة كما فعل مع الحياة ويحاكي البلبل:

¹ أحمد سحنون "المصدر السابق"، ج1، ص28

² محمد غنيمي هلال "الرومانتيكية"، دار الثقافة، دار العودة، بيروت، 1973، (د.ط)، ص170

³ محمد الأخضر عبد القادر السّانحي "محمد الأمين العمودي: الشخصية المتعددة الجوانب" ص80

⁴ محمد الأخضر السّانحي "همسات وصرخات"، ص43

فالكلُّ ناسيكٌ حتى ما قضيت به أيّام صفوك من وكرٍ وأغصان
كأنّها لم يشنف قطُّ مسمّعها بسحر ما صغت من شدو وألحان¹

ونلمح في القصيدة تشابها لما ذكره الشاعر مع ما قاله إيليا أبو ماضي:

أيّها المشتكي من العيش داء حاسبا أن تجرّع الموت نشفا
فمن الصعب أن تعيشَ وما كان من الصعب أن تلاقِيَ حتفا²
ونصادف عبد الكريم العقون يقول في الصبح:

هَبْ من نومه يمسُّ حسيّرا باسم الثغرِ وانيّ الخطوات
وتجلّى في حُسنه كعروسٍ ذات حسن مهبّبة اللّفات³

وعلى ذكر هذه النماذج تبيّن أنّ الشّعراء الوجدانيّين قد كرّسوا شعرهم للتّعنيّ بعواطفهم ومشاعرهم الذاتيّة من خلال وصفهم للطّبيعة التي كانت ملجأهم الوحيد للمناجاة ونقل حالاتهم النفسيّة بأسلوب خياليّ مجنّح. ومع أنّ شعرهم لا يرقى إلى نماذج يُحتذى بها ولم يكن متفوّقا في صياغته وأسلوبه على العموم، ولكنه لا يعني أنه كان ضعيفا لأنّهم في الأخير كانوا صادقين في شعرهم الذي أوجدته الظروف التي أحاطت بهم و ببيئتهم، وحتى وإن أخفقوا في مواضيع أخرى فيبقى وصف الطّبيعة يكسبُ دائما مكانة في نفوس القراء لأنّ "أجمل الشعر وأروع بلا نزع هو الوصف"⁴ فهم لم يميلوا إلى الطّبيعة هروبا من المدينة والحضارة ولكنّه حبٌّ لتقديس الوطن. كما أنّهم يؤسّسوا من واقعهم ومن الحكم المسيطر عليهم لذلك مزج الشاعر حزنه عن الطّبيعة بحزنه عن الوطن وعن نفسه.

¹ د عبد الله ركيبي "الشاعر جلواح من التمرد إلى الانتحار"، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009، (د.ط)، ص325

² د عبد الله ركيبي "المرجع نفسه"، ص133

³ الشريف مربي "المرجع السابق"، ص101

⁴ دمحم مرتاض "الشعر الوجداني في المغرب العربي" من القرن الثاني الهجري إلى نهاية القرن الخامس الهجري "قراءة جمالية، دار هومه، الجزائر، 2015، (د.ط)، ص19

2 - المرأة:

كان للحب مكانة كبيرة في الآداب المختلفة منذ زمن طويل وبلغ أوجه عند الرومانتيكيين خاصة إذا تعلّق الأمر بالمرأة. وتُعتبر المرأة من أهم المواضيع التي أكثر من وصفها الشعراء خاصة المسجونين. وقد تمكّن الشعراء الوجدانيون من إبداع مثل هذا اللون بمختلف أشكاله وصوره ومضامينه، فكلما عبّروا عن ثوراتهم وزفرائهم المعلنة أو المكتومة، نجدهم يطربون أحياناً لأشواق الحب ويسعون للأمل ويطلقون العنان لأنفسهم. وقد كانت هناك أسباب خنقت صوت العاطفة ومنعتها من البوح ورفع معاناتها منها: العامل الاستعماري والتقاليد القومية فالعامل الأول يعود إلى أنّ الشاعر لا يمكنه التّغزّل بعشيقته وقومته في حالة يرثى لها. أمّا العامل الثاني فيمنع حدوث هذا تبعا للأخلاق المتوارثة، فمن غير اللائق التحدّث عن المعشوقة في بلد عربي مُحترّم. ومع هذه الصّرامة على الشعراء والتّضييق عليهم إلا أنّنا نقف عند قصائد تفوح منها رائحة الغزل كقصيدة محمد الأخضر السائحي "لعينيك":

وما انهل يا فتنتي من جنوني	لعينيك ما شبّ في أضلعي
إذا حان في الليل وقت السكون	وما صنع السّهد في مضجعي
ورحّت ضحية تلك العيون ¹	دنوت بحبك من مصرعي

وهذا جلواح يودّع حبيبتيّ اللّتين قضتا معه تجربتين عاطفيتين لم تنجحا، إحداهما في الجزائر والأخرى في باريس، فقد ذاق المرارة عند كليهما، فمال إلى الزهد في الحب قائلاً:

وداعاً غرامي قد يئست ومن تخب	دواماً له الآمال في الحبّ بيأس
فأولّ حبّي في سما مستغانم	طوى نجمه الهجران في جنح حندس
وآخر حبّي قد فقدت هلاله	بباريس في حبّي الفؤاد المقدّس

¹ محمد الأخضر السائحي "المرجع السابق"، ص 161

فلم يبقَ لي من بعد هذين منية تحبب قلبي في مرآشف لعس¹

لقد ربط الشعراء الوجدانيون بين عواطفهم الذاتية وعواطفهم الوطنية، وهذه السمة نجدها في القصائد الغزلية في شعر الثورة كما أن أغلب هذه القصائد امتازت بالعفة والحياء، إلا بعضها خرج عن هذه العادة وأسدل ستار الحياء، وكُشف عما فيها. ومن بين هؤلاء الشعراء محمد الأخضر عبد القادر السائحي:

أي سرّ يشعّ من كل عين؟ يتمشّي إلى الفؤاد دببـه
حور الدّعج قاتل، وبريق الزّرق مغرر، والشّهل سحرّ يذبيـه
كلّ عين جميلة ذات سحرٍ وجميع الرّؤى تهزّ الكـيانا²

وللأمين العمودي أيضا قصيدة تدلّ على تحرّر فكره رغم ميله إلى الاتجاه المحافظ يقول في "الطبيعة الساحرة":

أشياء حلّ حلالهـن حلالـي نقر الكؤوس ورنه الخلخال
يا عاذري كُنْ عاذلي مهلاً فلي في العشق أيام مضت وليال³
ويقول عبد الله شريط :

يا ضباب الحبّ يا ظلمة كوني لم وشحت الليالي أنجما
وأنا الغارق في أحوال عمري صيّب المدمع مرضوض الأماني⁴

إنّ الثورة بعنفها وصلابتها لها تأثير كبير على العاطفة، فمبارك جلواح صاحب القلب الرّهيف نجده يكلم قلبه مصدر إلهامه ويحاوره بطريقة هادئة في رومانسية ونغمة حزينة جدّاً يبكي حاله:

¹ عبد الله الركبي "المرجع السابق"، ص301، 302

² محمد الأخضر عبد القادر السائحي "ألوان من الجزائر"، ص96

³ محمد الأخضر عبد القادر السائحي "روحي لكم" تراجم ومختارات من الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986 (د.ط)، ص21

⁴ عبد الله شريط "الرماد" شعر، منشورات السهل، الجزائر، 2009، (د.ط)، ص80

إلام النّوح كالعاني الشّجين لصدّ أخ وهجران الخدين

تناهى العرسُ وافترق الأهالي ولم الحرس أنيال الشّبين¹

ومن جهة نجده يعاتب الفتيات الفاتنات ويهاجمهنّ على تركه ، ويذكر خيبة أمله وفشله في حبّه
معلنا:

بين السّكر من الغرام وصحو عناقٍ من العزيز وضّم

وهنا الفؤاد ساعة وصل وعناء الكبود من بعد صرم²

لقد تحدّث الوجدانيّون عن الغزل، وأحيانا كان يأخذ هذا الأخير طابعه السّياسيّ لأسباب سياسية
فهذا رمضان حمود يتغزل بالحرية وكأنّه يتغزلّ بامرأة حيث يقول شوقا للحرية:

لا تُلْمَني في حبّها وهّواها لستُ أختارُ ما حييتُ سِواها

هي عيني ومُهَجّتي وضَميري إنّ رُوحِي وما إليه فِداها³

والعاطفة هنا في هذين البيتين تنقذُ شوقا وصبابة وتتألم حرمانا وهجرانا، ولكن لم تكن المحبوبة
هنا غير الحرية، ولو لم يكن عنوان القصيدة هو الحرية لاعتقدنا أنّها قصيدة غرامية عاشها الشاعر
في حياته. هذه الحرية التي طالما تطلّع إليها كلّ واحد وتمنّى الحصول عليها في أقرب الآجال
فكيف لا يتغزل بها وهي حلمه الوحيد للخلاص من الغُبن والظلم. فبعض القصائد نجد فيها
ازدواجية العاطفة؛ حيث يُجمع بين حبّ المرأة وحبّ الحرية أو حبّ الوطن أو الثورة. وغالبا ما
نجد لفظة الثورة تقترب بلفظة الحبّ.

كما نجد بعض الشعراء استبدلوا صورة المرأة المناضلة بالمرأة المعشوقة حيث شجعوها على
الاستمرار والنضال، ذاكرين أعمالها في ساحة المعركة فاعتبروها إنسانة الثورة التي جسّدت قيم

¹ عبد الله الركيبي "المرجع السابق"، ص335

² عبد الله الركيبي "المرجع نفسه"، ص331

³ صالح خرفي "حمود رمضان"، ص83

التضحية والصبر المشحون بالإخلاص والمحبة. فلم يُنظر إلى المرأة في الثورة على أنها أم فقط بل الأخت والبنت الثائرة الجندیّة أو الممرضة في أعالي الجبال وهذا محمد بلقاسم خمار يتغنى بالمرأة المناضلة التي عاشت في بلاد الأوراس لإنقاذ شرفها والدفاع عن وطنها:

هل سمعتم حكاية العبودية من بنات الأوراس أرض الحمية

قتلوا أمها وازدادوا أباهـ وأخاها وأبقوا البنت حيّة¹

إلى أن يصل : ثم صاحت وأفرغت غيظها الدامي رصاصاً في وجه أعجميّة² ولا شك أن ما أصاب المرأة الجزائرية أثناء الثورة من ظلم واغتصاب جعلها تغيّر حياتها نحو الأفضل من تحرر ومشاركة في قضايا الدولة فحضورها في المعركة هو ظاهرة ثورية مميزة ودليل كاف على اجتهداتها، فقد تركت بصمة في تاريخ ثورتها. ومهما يكن فإن الشعر الوجداني الجزائري تضمن معاناة وشكوى قدمها الشاعر في صورة مزركشة تهز الأفئدة ولا يملك الشاعر حيالها سوى الإعلان عنها. وأخرى جمعت بين الداتية والوطنية تجعلنا نحس بذروة الأمل المطمئن.

إن الشعر العاطفي في الشعر الجزائري سواء بكثرته أو قلته، بتقليده أو أصالته، بصراحته أو تسترته أو حتى بعفته أو بتمرده ، وبكل طرق تعبيره وظروفه ما هو إلا مرآة عاكسة للبيئة التي ضمته.

3 - الوطن:

من المواضيع الجديدة في شعر الثورة هو الوطن أو الأرض أو الجزائر، هذا البلد الذي شغل كل الشعراء بمختلف اتجاهاتهم مع أنهم لم يُخصّصوا قصائد كاملة عنه، لكننا نعثر على مقطوعات

¹ محمد بلقاسم خمار "قال محمد بلقاسم خمار في الوطن" المتصدر للترقية الثقافية والعلمية والإعلامية، الجزائر، 2013، (د.ط)، ج1 ص238

² "المصدر نفسه"، ص238

رائعة تسمو بحب الأرض الجزائرية، وتصف تعلّق الشعراء والشعب الجزائريّ بكل قطعة من هذه الأرض فقيام الثورة دليل على الرّغبة في تحديد ملامح الوطن وتجديد الحنين إليه واسترجاعه. لقد وصفت القصائد الشّعريّة مفاتن الطّبيعة وتغنّت بالجزائر ومزجت الطّبيعة بالمواقف البطولية فتعلّق الشعراء بجزائره ومع هذا التّغني والاعتزاز والنشوة يزداد الإلحاح على الانتماء إلى الأرض والتمسك بها. وهذه السمة يتميّز بها الشعراء الوجدانيّون فقد أكّدوا أنّ الجزائر أرض عربيّة وتعلّقوا بها تعلّق الرّضيع بأمّه، ويقول أحمد سحنون متحدّثاً عن وطنه الجزائر:

يا بلادي التي أحبّ وأهوى وأصوغ فيها الروائع نشوى
يا عروس الشمال يا جنّة الدّنيا وماوى لكلّ مجد ومثوى
دمت مهذا للمكرّمات وأفقا للجمال وللكمالات مهوى¹

وهناك من عبّر عن اشتياقه وحنينه وحبّه لوطنه الذي فارقه، فهذا عبد الله شريط الذي كان في باريس يقول أنه ضمّان إلى وطنه وأنّه مشتاق إلى أهله وأحبائه، فيقول:

ظمئت إليك يا وطني وإني لفيك نفضت أوراق الشّباب
وفيك تنفست أحلام قلبي وهزّت مهجّتي ريح التصابي
ظمئت إليك يا وطني لأنني غريب في جبالك والروابي²

ويتحدّث عبد الله شريط عن غربته التي قطعت الصّلة بينه وبين وطنه وأهله ولغته وبقي في بلد أجنبي لا أخ ولا شقيق ولا صديق يؤنسه، يقول:

غريب في المقابر والنّوادي غريب في النّطق في دنيا اضطرابي
غريب في المعابد والملاهي غريب في ميّولي وانتسابي³

¹ أحمد سحنون "الديوان"، منشورات الحبر، الجزائر، 2007، ط2، ج2، ص113

² عبد الله شريط "الرّماد"، ص49

³ عبد الله شريط "المصدر نفسه"، ص49

إنّ الحنين إلى الوطن لا يكون إلّا في الغربة أو تعرّض الإنسان للنّفي أو السّجن فيحس بالمرارة والظّلم والشّوق إلى بلده لذلك نجد الشعر الذي عبّر عن تلك المعانات هو من أفضل ما جادت به قرائح الشعراء والمغترّبين، ويعتبر جلّواح و أبو القاسم خمار وعبد القادر السّائحي من الشعراء الذين اکتّوا بنار الغربة وكتبوا حرقّة وشوقا في معاني الحنين إلى الوطن فأكثرّوا من النظم.

هذا أبو القاسم خمار لا يجد أي عذر في بقائه في الغربة و أنّ عليه الرجوع إلى أرضه للوقوف مع إخوته في القضية الوطنية التي يعتبرها واجبا وطنيا، يقول:

تحت سطوة ظالم أَيْصبح بين وأعيش في سلم على علّاتي

مرتعش الخطأ أثني على روح كالشيخ في الرّكعات والسّجّادات¹

أما مبارك جلّواح الذي عاش خارج وطنه وتعذب كثيرا لفراقه فتغنّى به وصوّر حبّه لبلده في جوّ عاطفي حزين ونبرة شجية أكثر حزنا وتحدّث عن عذابه وبُعدّه عنه قائلا:

باتت تُناجيك خلف اليم في الغمم ورقاء حيد بها عن وردك الشيم

مشتاقة لـرّبّاك النظر آيسة من أن تراها لو في هدئة الحلم²

لقد اکتوى جلّواح بلفحات لهيب الوطن، خاصة هو بالذّات لأنّه عاش ظروفًا قاسية جدّا وحياة صعبةً فاهتم كثيرا بوطنه على غرار غيره من الشعراء الذين لم يذوقوا معاناة جلّواح. فجلّواح اکتشف نفسه في وطنه ومزج حياته به، أمّا غيره فلم يغوصوا في ثنايا أحاسيسهم فهو يصوّر ضعفه كإنسان وقوّته كوطنيّ. وهذا محمد الأخضر عبد القادر السّائحي الذي عاش نرجسيّة حبّ الوطن وأحبّه كثيرا يتحدّث:

أحنُّ

إليك يا بلدي

¹ محمد بلقاسم خمار "المصدر السابق"، ج1، ص223

² عبد الله الرّكبي "المرجع السابق"، ص409

إلى ضمة من حنون

وأهفو إلى كل شيء

لديك¹

إنّ الشعر الوطنيّ هو شعر الثورة الوجدانيّ، شعر صادق عميق، ومن أفضل ما نُظّم خلال الثورة، فلا يُعقل أن ينظم شاعر قصيدةً غزليّةً يتغلّز فيها بعشيقته في وقت كان إخوانه يعانون الولايات من المستعمر. يقول رمضان حمود "من الجنون بل من المُحال محاولة إطفاء جذوة الوطنية الملتهبة في أمة دبّ في شرايينها روح التضامن والحياة والنصرة"² لذلك لم نجد له قصيدة غزلية أثناء الثورة بل انشغل بوطنه وبقضاياها وما يخدم الجزائر إذ يقول:

ألا يا عاذلي كُفُوا ، فإنّي أصبتُ بحبّ شعبٍ ذي خصال

وخلُّوا عن مُلوميّتي فإنّي صبورٌ ثابتٌ ، صعبُ المنال

بلادي تلكَ ويحكم اتركوني فقدُ ملكْتُ جناني بالـدلال³

ونشعر برومانسية جلواح الشبيبة برومانسية الشّابي الوطنيّة، خاصّة عندما ودّع وطنه ،فقد دعا شعبه إلى الثّورة على المستعمر المستغلّ ويكرّر وداعه للبلاد في هذه الأبيات:

يا بلادًا أعيش فيها غريبًا وأنا من أبنائها الأمجاد

ويعيش الغريبُ فيها عزيزا وهو يسعى لذلّها في البلاد

الوداعُ الوداعُ يا مهدي المنـ كوب قد عالت النوى أجلادي⁴

وعليه يمكننا اعتبار شعر جلواح وطنيًا رومانسيًا لأنّه جمع بين الذات والوطن في أسلوب تصويري رائع لعواطفه وأحزانه وتشاؤمه وتحسّره. و نجد هذه الرومانسية واضحة في قصيدته

¹ محمد الأخضر عبد القادر السائحي "ألوان من الجزائر"، ص15

² صالح خرفي "حمود رمضان"، ص126

³ صالح خرفي "المرجع نفسه"، ص49

⁴ عبد الله الركيبني "المرجع السابق"، ص416

"دمعة على الوطن المهضوم" فالشاعر يبكي وطنه وإن كانت نظرتة تلتقي أحيانا مع نظرة الإصلاحيين في رفع الصوت أو خفضه حسب المقام الذي يتطلبه الوطن، كالحديث مع المستعمر يقول فيها:

منْ ذا يُؤانسني إنْ طال بي أرقي بعد احتجابك عن عيني يا شهبُ

منْ ذا أخفق بالشكوى له شجني من بعد ما بان عني الأهل والصحب¹

وبعض الشعراء لم تصل غيرتهم على بلدهم فحسب؛ بل على البلدان العربية الأخرى فدعوا إلى وحدة المغرب العربي واعتبروه جزءا من إفريقيا ومنهم من حمل همّ مشاكل الدول العربية الأخرى كفلسطين التي تحدّث عنها محمد الأخضر عبد القادر السانحي فقد لفت أنظار إخوته وسائر الدول العربية إلى شقيقتهم فلسطين معلنا:

هكذا ضاعت فلسطين الحبيبة

وشباب في العراق حرّمات

هكذا أمس العروبة

لا تعي حتى الشكاة²

وهذا مبارك جلواح يصف مصر وسوريا وكيفية تحرّرها ويتذكر في الوقت نفسه أمجاده الماضية:

سائل النيل وسائل بردى كيف ساقّت فيهما سفن العظم

وحمت وردهما من بعدما عشّش الغربان فيه والرّخم³

فالشعراء الوجدانيون تفاعلوا بكل ما يمتّ بذاتهم ووطنهم وحياتهم، فقد عبّروا عن عواطفهم القوميّة

¹ عبد الله الركيبي "المرجع السابق"، ص435

² محمد الأخضر عبد القادر السانحي "من عمق الجرح يا فلسطين" الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، (د.ط)، ص14

³ عبد الله الركيبي "المرجع نفسه"، ص470

والوطنية، وأظهروا تعلّقهم بالوطن والعروبة فلم يحصرُوا شعرهم في حياتهم الخاصة أو ذاتهم؛ بل تعلّقوا بما يسمّى بالوطن فتغنّوا بالجزائر التي تمثّل الأرض والشعب والتاريخ والواقع. و تعلّقهم الشديّد بدأ واضحاً في قصائدهم وغنائهم الذي كان شجياً حيناً وفرحاً حيناً آخر ووصفوا غربتهم وحنينهم للوطن.

4- التشاؤم والحزن:

إنّ الظروف الصّعبة التي عاشها الشعراء الجزائريّون نخصّ منهم الوجدانيّين جعلت شعرهم يكتسي بطابع التشاؤم والحزن، ولوّنت نظرتهم بالحياة، و بالتالي لوّنت الشعر بلون مميّز، و قد اختلفت نظرة كل شاعر تجاه الحياة والكون والإنسان، وليست هذه الرؤية من قبيل الفلسفة بل رؤية خاصّة للشاعر أو موقف ما عبّر عنه. وما سنحاول معرفته هنا ما حكم أصحاب هذا الاتجاه من الحياة؟ وما هي الظروف التي تجعل الشاعر متشائماً أو متفائلاً؟ و هل عاد عليه هذا الأمر بالإيجاب أم بالسلب؟.

ولو عدنا إلى ديوان مبارك جلواح المعنون بـ " دخان اليأس" فمن خلال العنوان نجده يذكر يأسه وما حقّقه في الواقع وما وصل إليه من حكم مرّت بحياته، وهو بهذا يشبه ديوان عبد الله شريط " الرّماد"، فكلاهما عبّر عن السخط والتشاؤم والانهمام في شعرهما والسبب في ذلك هو الحالة التي عاشتها بلادهما. ويقدم لنا جلواح أمثلة عن شقاء الإنسان في حياته كالأنبياء والمفكرين لما عانَوْه وقاسوه وذاقوا مرارته، فالحياة بالنسبة له كالقدرة التي يوجد فيها سُمٌّ من تناوله يموت لذلك نظر إلى الحياة والموت بمنظار أسود حيث يقول:

كيف تُرجى لدّة في قدرة أبداً بالسّمّ تغلي وتفور¹

¹ عبد الله الركيبى " المرجع السابق"، ص480

لقد تحدّث جلّواح عن الحياة والموت والتأمّلات الفكرية والتدبّر والتفجّع والتّحسّر وعن رثاء أبيه هذا الرثاء لم يتنبّع فيه طريقة القدامى، وإنّما كان كلّما انفعل كتب، فهو "شاعر رومانسي قبل كلّ شيء"¹، فهاجم الموت الذي أخذ أباه مع أنه يعرف مصير الجميع:

قوة الله التي ما فوقها قوة تملك أرسان الأمور

قوة الله التي من تحتها سائر الأكوان ترسو وتمور²

أحسّ الشاعر بالوحدة والوحشة والغربة لأته عاش منفياً في فرنسا، وكان يأمل أن يموت في بلده ويُدفن فيها، ويرجع إلى جوار والده قائلاً:

وتحظى عظامي بطيب الجوار لتلك العظام بعرض الرّجم

فإنّي لأخشى بأنّ تنقُصني حياتي غريباً بأرض العجم³

غير أنّ أمنيته لم تتحقّق وتوفّي بعيداً عن الأهل. إنّ عدم حضوره لجنّازة والده ورؤية نعشه وقبره - لأنه كان مغترباً - جعل حرّقه تشتدّ والحسرة تمزّقه لهذه الصدمة المزدوجة فيقول:

وحُمِلت في النعوش نحو الجلود ولم يتسّع خلفك لي من قدّ

كذلك شاءت صروف النّوى لتمزج أدمع عيني بدم⁴

اتّبع جلّواح خطّاً رومانسيّاً من بدايته إلى نهايته، فقد كانت له نظرة عدائيّة سوداء تجاه الزّمن ونظرة رعب مخيفة نحو الدّهر، فهو يطلب الموت وعندما تقترب منه يفرّ منها، فالحياة عنده وهم وغرور وكدر. ويتساءل عن معنى الوجود في قصيدته "لماذا خُلقت؟" محاكياً إيليا أبا ماضي ليس في التشاؤم فحسب؛ بل في تساؤلات كثيرة ذُكرت في قصيدته "الطلاسّم" لإيليا.

¹ عبد الله الركيبي "المرجع السابق"، ص 233

² "المرجع نفسه"، ص 474

³ "المرجع نفسه"، ص 277

⁴ "المرجع نفسه"، ص 475

يقول جلواح:

لماذا خُلقت؟ لماذا أعود؟ ثرابا كما كنتُ تحت اللُّهود¹

وحيرته تجاه الوجود جعلته يتساءل في سخط عنه، ويشعر أنه معاقب في هذه الدنيا رغم أنه لم يرتكب أيّ خطأ كبير منذ ولادته. أمّا قصيدة "صحراء الوجود" فالعنوان جليّ من معناه يرى أن الوجود صحراء مقفرة خالية لا إنسان ولا حيوان ولا ظلّ فيها ولا حياة، حيث يقول:

حمامٌ أم تتورّ أم بركانٌ يشوي به الإنسان والحيوان

أم أنت يا هذا الوجود جهنّم يصلي لظاها الخلق والأكوان²

لقد تضافرت عوامل عديدة جعلت الشاعر إنسانا يسيطر عليه الإحساس باليأس ومعذبا تائها متشائما وما زاده في سخطه إخفاقه في حياته العاطفية وحياته وغربته عن أهله وبلده، كلّ هذه العوامل ألّبت شعره رداء الحزن والغمّ. وهو الشاعر الوحيد الذي تحدّث كثيرا عن الموت والزمن مثل ما فعله الشّابي نتيجة الظروف القاسية التي مرّ بها.

ثم يأتي محمد الأمين العمودي الذي سُمّي بشاعر البؤس الفريد، وهذا يدلّ على أنّ الوجدانية اهتمت بمواضيع البؤس والشقاء والظلم. وقد نقل الشعراء إحساسهم هذا عن طريق شعرهم. إذ نلمح هنا الحزن بصورة كبيرة تطفئ على قصيدته "قسنطينة"، يقول:

في قسنطينة قضيتُ شبابي في عناءٍ ومحنةٍ وعذاب

وخطوبي تحلّ بعد خطوب ومُصاب يجيء بعد مُصاب

حزني دائم بها مستمر وسروري يمرّ مرّ السحاب³

فهو لا يقف في تعابيره عند كلّ هذه المعاناة والحسرة؛ بل نجده أحيانا مدفوعا إلى الصّراخ

¹ عبد الله الركبي "المرجع السابق"، ص 359

² المرجع نفسه، ص 379

³ محمد الأخضر عبد القادر السّاحي "محمد الأمين العمودي"، ص 77

والهجاء. والمعروف عنه أنه قُتل بطريقة وحشيّة من طرف المستعمر. كما أنّ تعلّقه بالواقع وإحساسه به وهروبه منه أحياناً ولومه للدّهر والزّمن جعلنا نعدّ في شعره نوعاً من الرومانسية وها هو ذا يقول في قصيدته "ضاقت على ذكر ما قاسيت أعوام":

نفسى تُريد العُلا والدّهْرُ يعكسُها بالقهر والزّجر إنّ الدّهْرُ ظلام

إنّ الزّمانَ سطا عن سطوتِه كما سطى عن ضعيف الوحش ضرغام¹

أما صالح خباشة نجده في قصيدته "يا طائراً" يناجي الطائر الذي يشاركه أحزانه؛ حيث ربط حزنه وألمه به، فجعله يفكر مثله وبالتالي تصبح الطّبيعة نغماً واحداً تستجيب لمشاعر الشاعر وفكره وبهذا يكون صالح خباشة أقرب إلى الوجدانيّة، يقول:

يا طائراً يبكي مساء صباحاً ويُقيم ما بين الغصون مناحاً

ويظلّ بالوادي يُفكّر تارة ويثير أخرى ضجّةً وصياحاً

تبكي وأبكي والشّجون عريقةً وأنا وأنت الفاقدان جناحاً

وأنا وأنت النّائحان على الحمى وأنا وأنت المثّخان جراحاً²

قدّم لنا الشعر الوجدانيّ صوراً مؤثّرة حيّة من السّجون أثناء الثورة التحريرية؛ حيث صوّر أنواع العذاب والاضطهاد والألم ونقل إلينا آهات وخلجات شعراء كانوا قد ذاقوا مرارة السّجن وعاشوا لحظاته. ويعتبر أحمد سحنون من بين الشعراء الذين مرّوا بهذه التجربة، فقد رُجّ به في السّجن ومن خلاله عبّر عمّا يجول في نفسه من تفجّع و ألم وضيق، ويرى أنّ الحياة في السّجن لا تُطاق، ويدعو الله النصر القريب:

إن كان يُدفنُ قبل الموت إنسانُ فهو السّجينُ عليه الدّهْرُ سجان

¹ محمد الأخضر عبد القادر السّانحي "المرجع السابق"، ص 75

² صالح خباشة "الروابي الحمر"، منشورات أر تيستيك، الجزائر، 2007، ط 2، ص 120

دُنْيَاهُ أَضِيقُ دُنْيَا عَاشَهَا بَشَرٌ إِنَّ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ صَبْرٌ وَإِيمَانٌ¹

و بلقاسم خمار عاش النظرة نفسها مع سابقيه؛ حيث تحدّث عن ظاهرة الفقر والحرمان وأفصح عن الشقاء الذي يعانيه الشعب والسّر في بؤس الحياة وألمها. بينما نجد محمد الأخضر عبد القادر السائحي يتضرّع إلى الله لنصرة الضعفاء الذين إنتهكت حقوقهم و كانت مأساتهم اليومية تجدد حزنهم، يقول:

يَا رَبِّ مَجْتَمَعٌ أَنْكَى بِهِ الْقَلْقُ

يَقْضِي الْحَيَاةَ ظُلَامًا لَيْسَ يَنْفَلِقُ

فَمَا تَرَى فِي أَرْضِيهِ سِوَى جَدْبٍ

كَالْوَحُوشِ مَفْزَعَةٌ أَصْوَاتُهُ الْخُمُقُ²

ويقول رمضان حمود في قصيدته "علام نلوم الدهر":

عَلام نَلُومُ الدَّهْرَ وَاللّٰهَ عَادِلٌ وَتَنْسَبُ لِلْأَيَّامِ مَا هُوَ بَاطِلٌ

وَتَمَلُّ وَجَةَ الْأَرْضِ رَطْبًا وَيَابِسًا بَكَاءٌ وَهَلْ تُجْدِي الدُّمُوعُ الْهَوَاطِلُ³

بعد شعور حمود بقساوة الدهر وحزنه المتواصل يرى أنه لا دخل للدهر فيما يحدث له، لأنّ قدره كُتِبَ له قبل ولادته.

ومن العوامل التي جعلت ظاهرة الألم والعذاب والتشاؤم تطغى على شعرهم هو اضطراب حياتهم العادية والعاطفية، وضعفهم والخوف على أنفسهم وهذا أدّى إلى فقدان الحرية الفردية والجماعية وإلى إثارة الهواجس والشعور بالألم هذه المؤثرات تختلف من شاعر إلى آخر كلّ حسب

¹ أحمد سحنون "الديوان"، ج2، ص12

² محمد الأخضر عبد القادر السائحي "ألوان من الجزائر"، ص50

³ صالح خرفي "حمود رمضان"، ص89

إرادته وقوّة صبره وظروفه¹. ولا يجب أن نلوم الشعراء الوجدانيين على نظرتهم التّساؤميّة غير المتفائلة لأنّه كانت هناك ظروف سبق وأن ذكرناها أثّرت في شعرهم ، ونتج عن هذا صدقٌ في تجربتهم الشعريّة.

5 – الثّورة:

كان الشّعْرُ خيرَ مَبْشَرٍ للثّورة، فقد زاد الوعي الثّوريّ والاهتمام بالقضايا الوطنيّة أهمّها الاستقلال والدّعوة إلى الثّورة والحصول على الحرية بأية وسيلة، فالشاعر الجزائريّ أحسّ بقرب موعد الثّورة فأعدّ العدّة لذلك ، يقول بلقاسم خمار في قصيدته "القسم":

يا ساحةَ اللّهبِ زلزلي دُنيا بطاحي واستلهمي ثاراتنا الحمراء من ساحٍ لساحي

إنّا ها من غضبة الأوراس من قمم الكفاح من قبلة الشهداء من قلب الملاحم والجراح²

فإصرار الشعراء على الصبر والتّضحية كان كبيراً، والحصول على الحرية يجب أن يكون له مقابل ولن يتوقّفوا عن كفاحهم دون تحقيق مرادهم. وما يمتاز به الشّعْرُ الثّوريّ هنا هو ارتباطه الوثيق والمتفاعل بالثّورة التّحريرية وليس ارتباط المتفرّج الذي يصدّر فحسب فالشاعر الجزائريّ سواء كان داخل الوطن أو خارجه كان يقوم بدوره الثّوري، وهذا ما جعل الشعر يكون أكثر صدقا وبساطة، فالمدرسة القائمة في تلك الفترة هي مدرسة الثّورة.

" وما يلاحظ أثناء قيام الثّورة هو قلّة الإنتاج الشّعري لدى بعض الشعراء المعروفين والسبب يعود إما إلى المضايقات التي مارسها الاستعمار عليهم وإما استشهاد بعضهم كعبد الكريم العقون والربيع بوشامة"³. ولكن هذا لم يمنع شعراء آخرين من مواصلة المسيرة الشعريّة في الثّورة ضدّ

¹ ينظر، مصطفى بيطام "الثّورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954-1962" دراسة موضوعية فنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، (د.ط)، ص162

² بلقاسم خمار "الديوان" ج1، ص165.

³ ينظر، الوناس شعباني "تطور الشعر الجزائري منذ 1945 حتى سنة 1980"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ت)، (د.ط) ص81

المستعمر الغاشم؛ حيث خطوا خطوة مهمة في الشعر الذي كان وقود الثورة. ونجد بلقاسم خمار يهدد فرنسا التي استتجدت بالحلف الأطلسي، ويخبرها أنه لا يُنقذها لا حلفها ولا قوتها ولا أي شيء:

سأصيحُ في الجيش الفرنسي الغبي قد آن حتفك يا شقي فهاث
قد حان حينك فالحية قصيرة وأتاك من قد كان حقاً آت
واسمع تراويل الكتاب فإنها ترتثيك في الإنجيل والتوراة¹

والخمار يستحي من أن يقصر في حقّ وطنه والدعوة إلى الثورة في شعره، فبعض الأشعار قد يرقى فيها إلى صعيد المدفع والرشاش، وبعضها يدنو ويتراجع عن هذا المستوى، فيكون من المخجل ألا تؤدّي الكلمة دورها:

أين منّي قصيدة تتلظى من قصيد يفيض حبرا أبيّا
أين منّي أغنية لليالي من هتاف غطى الربوع دويّا
أين منّي وفي الجزائر آها ت، تهزّ القلوب هزاً قويا²

والشاعر متأكد من قدوم النصر والحرية يقول:

يا حلم أمانينا المزهر
يا فرحة أم تتذكر
يا بسمّة طفل يستبشر
الخير ينادي يا خير³

ويقول الربيع بوشامة أيضا "جاعلا من الحرف نداء ثورياً وسلاحاً فتاكاً في جعل الثورة تفور

¹ بلقاسم خمار "المصدر السابق"، ج 1، ص 224

² أحمد سحنون "المصدر السابق"، ج 1، ص 142

³ محمد بلقاسم خمار "قال محمد بلقاسم خمار في الوطن"، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية والإعلامية، الجزائر، 2013، ج 2، ص 42

كالبركان" 1

سرّ للنضال في كلّ حال

حُرّ الخيال تبني المعال

و اطو البعاد بين البلاد²

لقد قدّمت الثورة لمدة سبع سنوات واقعا خصبا زاخرا للشعب الجزائري وكان الشعر الثوري وقودا للمعركة وسجلا لأحداثها، كما كان الشّعر أيضا من أهم وسائل الإعلام ليلبّغ الشعب هذه الثورة لاحتضانها ويصنع تاريخا زاخرا. وهنا نجدُ صورة حقيقيّة للمعركة يصفها شعراء تحسبهم شاركوا في المعركة.

6— الحرّية:

كان للحرية هي الأخرى بصمة في الشّعر الجزائريّ الوجدانيّ، فقد تحدّثوا عنها وعن الاستقلال والنصر أثناء الثورة، وكان ذكرها يغمر الأبيات قوة وتفاؤلا، فقد تجاوبت القصائد معها مثلما تجاوبت التضحية مع الثورة، كما عشق شعراؤنا الحرية كعشقهم للمرأة الحسنة يدعونها شوقا وهياما في شكل رموز لا يفهمها إلا من يحسُّ بجمرة هذا الوطن، فقد عانقوا حريتهم وتغنّوا بها فأرسلوا كلاما حرّا نابعا من ذات تتوق إلى الطلاقة وفكّ القيود و الصّراخ يقول رمضان حمود في هذا الصدد متحدّثا عن الحرّية:

لا تُلمني في حبّها وهواها لست أختار ما حبيّت سواها

إنّ عُمرِي ضحيةٌ لأراها كوكبًا ساطعًا ببرج غلاها

إنّ قلبي في عشقها لا يبالي تنطوي الأرضُ أم تخرُ سماها¹

¹ ينظر، أحمد دوغان "شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، (د.ط)، ص63

² شريط أحمد شريط "الأعمال الأدبية الكاملة" مائة قصيدة وقصيدة في حب الجزائر، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، الجزائر

2013، ط1، مجلد7، ص128

ونعلم أنّ الرّاية المرفوعة ترمز للحرية، فهذا محمد الأخضر السائحي يقف أمام هذه الرّاية التي علّقت بسبب مليون ونصف مليون شهيد، والتي هي في أفقه ملاك وضياء لكل قطعة في هذه الأرض قائلاً:

رفر في اليوم حرّة في السّماء وتهادي رفيعة كالضياء

وامرحي في الفضاء فوق زنود نبتت في جبالنا الشّماء²

وينتفض رمضان حمود بسبب المرارة التي تأجّج في صدره والحماسة التي تندفع في نفسه والضمير الحيّ الذي مازال مشتعلًا، يقول:

فها هو صوت الضمير يهزّ صدري ويأمرني بأشغال ثقال

فسمّعًا يا ضميري كن قريــــرا رضيت بحكمك العذب الزّلال³

ونجد أنّ أغلبية الرموز في القصائد الشعرية تشير إلى الحرية، وكان ممكنا للرّمز أن يصبح ذا دلالة ، لولا أنّ الشّاعر في نهاية قصيدته يكشف عن الثّورة والنهوض، كما أنّه يكون أكثر دلالة لو أنّه عبّر عن الرّمز بشكل عام ولا يعتمد على الغزل مباشرة، يقول خمار في قصيدته " إلى ظيبيتي العربية" التي يستلهمها بعاطفة الحب :

عشيقتك يا زفرتي في الليالي ويا سهد عُمرى... وأوجاع حالي⁴

ثم يشير إلى تعلّقه بالحرية منذ صغره:

لقد عرفتك كالبدن طفلاً.. ولكن أرى أنّك اليوم مثل الهلال⁵

¹ صالح خرفي "حمود رمضان"، ص 83

² محمد الأخضر السائحي: "همسات وصرخات"، ص 75

³ صالح خرفي "المرجع نفسه"، ص 63، 64.

⁴ بلقاسم خمار "المصدر السابق"، ج 2، ص 255

⁵ بلقاسم خمار "المصدر نفسه"، ص 255

لقد كانت الحرّية إحدى موضوعات الشّعراء الوجدانيّين، وكانت فعل وجود وتحقيق ذاتهم مواجهةً للظلم والطغيان والابتزاز، فموضوع الحرّية يتباين من شاعر إلى آخر، منهم من يُبدع فيها ومنهم من يصلُّ إلى الهياج السياسيّ، ومنهم من يرتفع بها لدرجة التأمل الروحيّ في سبّحاته الصوفيّة.

وختاماً لفصلنا نستخلص أنّ الشّعراء الوجدانيّين قالوا شعراً رومانسيّاً مع أنّه قليل مقارنة مع الاتجاهات الشّعريّة الأخرى، لكنه ناتج عن تجربة وجدانيّة، والشّاعر مطالب بإبراز حياة مجتمعه وشؤونه و أن يكون حاملاً لرسالة الأمجاد فعبر عن سخطه وتشاؤمه وحتّى عن سبب وجوده في هذه الدّنيا لأنّه ذاق ذرعا، و عبر عن طبيعته التي هي في الحقيقة طبيعة الوطن، كما ثاروا على الواقع ودفنوا أحزانهم في الطّبيعة ليلتمسوا العزاء، وتحدّثوا عن عاطفتهم الجيّاشة التي أجبرتهم على الكلام، فأحيانا يمزجونها مع الثّورة وأحيانا يتفرّدون بها، وتغنّوا أيضا بالوطن وتعلّقوا به وتفاعلو معه وتكلّموا عن الثّورة و رفضهم لهذا الواقع المرير وسعيهم إلى الحرّية التي عشقها الجميع. كلّ هذه المضامين خدمت الشّعر الجزائريّ والمجتمع وعبرت عن واقعهم والأهم من هذا كلّهُ هو صدق تجربتهم الشّعريّة.